



جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم النحو و الصرف و العروض

دور مدرسة الكوفة في نشأة علم الصرف

عمل الطالب / محمد عيد حسن عبد النبي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور
أحمد محمد عبد الدايم عبد الله
(1431 هـ - 2010 م)

مقدمة

الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله - صلى الله عليه و على آله و سلم - ،
و بعد :

فإن علم التصريف يعد من أشرف علوم العربية و أعلاها ؛ ذلك لأن به يستقيم البناء
الداخلي للكلمة التي يكون لها في السياق مقام ، و يكون لها مع صاحبها مقام .

و قد كنت فيمن كلفهم الأستاذ الدكتور أحمد محمد عبد الدايم ببحث عن دور مدرسة
الكوفة في نشأة الصرف ، و في ذلك من عظيم الفائدة ما فيه ، لأن معرفة واضع العلم
أو منشئه أو من كان له باع فيه من مبادئ أي علم ، كما قال القائل :
إن مبادئ كل فن عشرة الحد و الموضوع ثم الثمرة
و فضله و نسبه و الواضع الاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل ، و البعض بالبعض اكتفى و من درى الجميع حاز الشرفا

فاستعنت الله - عز و جل - على ذلك ، و بعد اطلاع متواضع على ما كتبه مشاهير
النحاة - قدامى و محدثين - في هذا الشأن ؛ جاء البحث في مقدمة و ثلاثة فصول و
خاتمة .

بينت في المقدمة سبب كتابة البحث و معالمه الرئيسية ، ثم جعلت الفصل الأول لبيان
معنى التصريف لغة ثم في الاصطلاح عند القدماء و المحدثين ، ثم ذكرت منزلة
الاشتقاق من التصريف ، و ختمت الفصل ببيان شرف علم الصرف و منزلته من علم
النحو .

و جاء الفصل الثاني ليحدثنا عن واضع هذا العلم و منشئه ، و قد جعلت لذلك
معيارين تبين لي من خلالهما أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري (المتوفي
117 أو 119 هـ) هو أقدم من نقل عنه أنه تكلم في هذا العلم أو ألف فيه .

و جعلت الفصل الثالث لمراحل تطور الدراسات المصرفية ، قسمتها إلى مراحل ثلاثة ، الأولى امتزج فيها الصرف بالنحو ، و تنتهي بسيبويه ، و الثانية فيها استقل التصريف بالتأليف فيه أو في أحد مباحثه ، و تبدأ بالكسائي و الرؤاسي الكوفيين ، و في تلك المرحلة نجد عددا و فيرا من المؤلفات ، و في المرحلة الثالثة اكتمل صرح التصريف ، و تتحدد بالقرنين السادس و السابع الهجريين ، و أبو عذرتها هو ابن القطاع الصقلي الذي أثر في مؤلفات من بعده - كما قال أستاذنا الدكتور أحمد عبد الدايم بحق - . و تأتي الخاتمة لتحمل أهم ما أفاده الباحث و ما توصل إليه البحث .

و بعد ، فهذا جهد المقل ، فإن أصبت حقا ؛ فحسبي ، وبتوفيق من ربي ، و إن كانت الأخرى ؛ فأرجو أن تذهب زلاتي البحثية التي سيجدها أستاذنا في زاخر بحره و واسع صدره ، فيتجاوز عما يراه من تقصير ، و يقابل القليل بالكثير ، متمنيا له دوام الصحة و العافية و النفع به و بمؤلفاته .

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و أصحابه و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

الفصل الأول : التعريف بعلم التصريف وشرفه ومرتبته

الصرف و التصريف لغة :

كلمة " الصرف " أو " التصريف " في اللغة تعني التحويل و التغيير و رد الشيء عن وجه إلى وجه ، و منه قوله تعالى : (صرف الله قلوبهم) ، أي أضلهم مجازاة على فعلهم ، فهذا تحويل عن الهداية إلى الضلال ، و منه تصريف الرياح و السيول و الخيول و الأمور و الآيات ، أي صرفها من جهة إلى جهة (1) .

مصطلح التصريف عند المتقدمين و المتأخرين :

كان التصريف عند القدماء بمعنى يختلف عن المعنى الذى استقر عند المتأخرين ، فقد كان المتقدمون يطلقون التصريف على ما اشتهر باسم مسائل التمرين، أما مسائل الصرف المعروفة الآن والمتداولة فى كتب الصرف المتأخرة فقد كانت داخلة عند القدماء تحت اسم النحو .

يقول أحد الباحثين : " بالتأمل فى المناظرة التى جرت بين معاذ الهراء والرجل ، وقوله : كيف تقول من (تؤزهم أزا) : يا فاعل افعل . وبالرجوع إلى أول إشارة واضحة إلى لفظة (التصريف) فى كتب المتقدمين على لسان سيويه ، حيث يقول : " هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة ، وما قيس من المعتل الذى لا يتكلمون به ، ولم يجئ فى كلامهم إلا نظيره من غير بابه ، وهو الذى يسميه النحويون التصريف والفعل " ، و بتوضيح الرضى لكلام سيويه بقوله : " والتصريف على ما حكى سيويه عنهم هو أن تبنى من الكلمة بناء لم تبنيه العرب على وزن ما بنته ، ثم تعمل فى البناء الذى بنته ما يقتضيه قياس كلامهم ، كما يتبين فى مسائل التمرين إن شاء الله تعالى "؛ نجد التصريف محصورا فى هذه الحدود الضيقة عند المتقدمين .
أما المسائل الصرفية المعروفة التى بوبت وصنفت فيما بعد - كالتصغير وجموع التكسير والنسب وغيرها - فإنها كانت تدرس مختلطة مع النحو ، وكتاب سيويه ينطق بذلك " (2) .

ويؤكد ذلك ما جاء فى " مجالس العلماء " للزجاجي : " قال أبو عمر الجرمي يوما فى مجلس الأصمعي : أنا أعلم الناس بالنحو . فسكت عنه الأصمعي ساعة ، قال : ثم قال له : يا أبا عمر ، كيف تنشده :

قد كن يكن الوجوه تسترا
فالآن حين بدين للنظار

كيف تقول : بدين أو بدآن؟ قال أبو عمر : بدآن . فقال له الأصمعي : يا أبا عمر ،

(1) لسان العرب ، مادة (صرف).

(2) جهود الفراء الصرفية ، ص 34-35.

أنت أعلم الناس بالنحو - يمازحه - ، وإنما هو بدون ؛ لأنه من بدا يبدو ، أى ظهري " (3) ، فأبو عمر الجرمي يزعم أنه أعلم الناس بالنحو ، فيمتحنه الأصمعي بكلمة في بيت شعر ، أخطأ الجرمي في نطقها وبين له الأصمعي صحة نطقها بناء على أن الفعل من (بدا يبدو) ، وهذا ندرسه الآن في دائرة الصرف لا النحو .

ومما يدل على أنهم كانوا يفرقون بين النحو الذي كانت تختلط به كثير من مسائل الصرف المعروفة الآن وبين التصريف الذي هو مسائل التمرين ؛ ما جاء في مجلس أبي محمد اليزيدي البصري تلميذ أبي عمرو بن العلاء مع علي بن المبارك الأحمر ، جاء فيه : " قال أبو محمد اليزيدي : و كنت جالسا مع الفضل بن الربيع ، فدخل علينا علي الأحمر ، فجلس إلى الفضل ، فقال لي الفضل : من كان أعلم بالنحو ، الكسائي أو أبو عمرو ؟ وكان أبو عمرو أستاذ أبي محمد . قال : قلت له : أصلحك الله ، لم يكن أحد أعلم بالنحو من أبي عمرو . فقال الأحمر : لم يكن يعرف التصريف . فقلت له : ليس التصريف من النحو ، إنما هو شيء ولدناه نحن واصطلحنا عليه ، وكان أبو عمرو أنبل من أن ينظر فيما ولد الناس " (4) .

يدل على ذلك أيضا ما ورد في مجلس سيويه مع الكسائي وأصحابه في مجلس الرشيد ، حيث سأل الفراء سيويه بقوله : هؤلاء أبون ، ومررت بأبين : كيف تقول مثال ذلك من وأيت أو أويت " (5) .

يقول د. محمد إبراهيم البنا : " وقد تبين للنحاة من خلال استقراءهم أن هناك أبنية انفرد بها الصحيح دون

المعتل والمعتل دون الصحيح ، وكأن النحاة قد نظروا في الأبنية

التي تفرد بها الصحيح ولم يرد المعتل عليها باحثين عن السبب في ذلك، فوجدوا

— مثلا— أن الصحيح قد تفرد ببناء فعلول ، نحو : بهلول وعصفور، فأرادوا أن يبنوا من المعتل هذا البناء ، فبنوه من رمى مثلا ، فأداهم التصور إلى رمي . وقد مضى النحاة في

صنيعهم هذا يبنون من المعتل ما لم تتكلم العرب به قائلين : إن المشتغل بهذه الأبنية يحكم صنعة الإعلال والإدغام ، ونشأ بذلك فن جديد دعي من أول الأمر بفن التصريف ، قال سيويه وهو يتحدث عن باب (ما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به، ولم يجيء في

(3) مجالس العلماء ، مجلس رقم 65 ، ص 111 .

(4) السابق ، مجلس 79 ، ص 130 .

(5) السابق ، مجلس 4 ، ص 9 .

كلامهم إلا نظيره من غير باب) ، قال : " وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل " ، هذا هو موضوع التصريف أول الأمر ، وهو— كما رأينا — وليد علم الاشتقاق " (6) .

أما عند المتأخرين ، فنجد ابن الحاجب يعرف التصريف بقوله : " التصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب "(7). ثم قال : " وأحوال الأبنية قد تكون للحاجة ، كالماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل والمصدر واسم الزمان والمكان والآلة والمصغر والمنسوب والجمع والتقاء الساكنين والابتداء والوقف و قد تكون للتوسع كالمقصور و الممدود و ذي الزيادة. و قد تكون للمجانسة كالإمالة . وقد تكون للاستئثار كتنخيف الهمزة والإعلال والإبدال والإدغام والحذف "(8).

وعرفه الشيخ الحملاوي : " الصرف، ويقال له : التصريف ، وهو لغة : التغيير ومنه تصريف(9) الرياح، أى : تغييرها . واصطلاحا بالمعنى العملى : تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة ، لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها ، كاسمى الفاعل والمفعول ، واسم التفضيل ، والتثنية والجمع ، إلى غير ذلك . وبالمعنى العلمى : علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء "(10).

يقول د أحمد بسيونى : " ولو قال : لغرض معنوي بدلا من المعنى العملي ، وغرض لفظي بدلا من المعنى العلمى ؛ لكان أوضح وأحسن "(11).

ويرى ابن عصفور أن التصريف ينقسم قسمين ، فيقول : " أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة ، لضروب من المعانى ، نحو : ضرب وضرب وتضرب وتضارب واضطرب ... وهذا النحو من التصريف جرت عادة النحويين أن يذكره مع ما ليس بتصريف، والآخر من قسمى التصريف : تغيير الكلمة عن أصلها ، من غير أن يكون ذلك التغيير دالا على معنى طارئ على الكلمة ... وهذا التغيير منحصر فى النقص ك " عدة" ونحوه، والقلب ك "قال" و"باع" ونحوهما ، والإبدال ك"اتعد" و"اتزن"

(6) الشافية فى علم التصريف ، ص7/م .

(7) السابق ، ص 6 .

(8) السابق ، ص 15-16 .

(9) وفى الأصل : تصديق .

(10) شذا العرف ، ص 49 .

(11) الوجيز فى تصريف الأفعال ، ص 7 .

ونحوهما، والنقل كنقل عين "شاك" و"لاث" إلى محل اللام " (12). ويقول صاحب " ارتشاف الضرب " : " وينقسم قسمين : أحدهما : جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعانى ، والآخر تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها، وينحصر فى الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل

والإدغام" (13) ، و قال فى " المبدع " : " التصريف : معرفة ذوات الكلم فى أنفسها من غير تركيب ، وهو قسمان : أحدهما : جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعانى كالتصغير والتكسير ، والعادة ذكره مع النحو الذى ليس بتصريف ، والآخر : تغييرها عن أصلها لا لمعنى طارئ عليها ، وينحصر فى النقص والقلب والإبدال والنقل " (14) .

ويعرفه عبد القاهر فيقول : " اعلم أن التصريف تفعيل من الصرف ، وهو أن تصرف الكلمة المفردة ، فتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة" (15) .

وقال ابن جنى : " فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة ، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة" (16) . وقال د. البدرأوى زهران عن قيمة هذا التعريف و التفريق بين النحو والتصريف : " غير أن قيمة تعريف ابن جنى أنه حدد مجالات التصريف وموضوعاته على نحو ما استقرت عليه فيما بعد ، وجاء تحديده هذا إيدانا بما اتبعه العلماء فيما بعد ، واستقر عليه الأمر " (17) .

وقد أتيت بتعريف ابن جنى لبيان أنه كان منطلقاً لتعريف المتأخرين لعلم التصريف .

وعرفه الزنجاني بأنه : " تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة ، لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها " (18) . وعرفه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بقوله : " العلم الذى تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية ، وأحوال هذه الأبنية التى ليست إعراباً ولا بناءً ، - وقال فى الهامش معلقاً - هذا اصطلاح المتأخرين من علماء العربية ، يجعلون الصرف

(12) الممتع الكبير فى التصريف ، ص33 .

(13) ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ص22 .

(14) المبدع فى التصريف ، ص 49 .

(15) المفتاح فى الصرف ، ص 7 .

(16) المنصف ، ج 1 / 4 .

(17) العمدة ، ص 17 .

(18) شرح مختصر التصريف العزى ، ص25 .

والتصريف لفظين مترادفين معناهما واحد هو ما ذكرناه ، فأما المتقدمون منهم فقد كانوا يطلقون كل لفظ منهما على معنى ، كانوا يطلقون لفظ (الصرف) على ذلك المعنى الذى ذكرناه فى الأصل ، ويطلقون لفظ (التصريف) على أخذك من كلمة ما بناء لم تبته العرب منها على وزن ما بنته العرب من غيرها ، ثم تعمل فى البناء الذى أخذته ما يقتضيه قياس كلامهم ، مثال ذلك أن تأخذ من الضرب على مثال سفرجل فتقول :

ضرب، وأن تبني من الوأى على مثال قفل فتقول : وؤى ، وهذا النوع من التحويل هو باب التمرين الذى وضعه الصرفيون لاختبار الملكات وتثبيت القواعد ؛ فالتصريف على هذا جزء من الصرف " (19) .
قال أحد الباحثين بعد أن ذكر بعض تعريفات المتأخرين للتصريف: " ومما سبق يلاحظ أن الغرض الذى نشأ التصريف من أجله ، وهو بناء مثال على مثال ، قد اختلفى تقريبا من كتب المتأخرين ، إذ أصبح مديلا فى كتبهم بعنوان مسائل التمرين " (20).

الاشتقاق و التصريف :

أما عن منزلة الاشتقاق من التصريف فيقول ابن جنى موازنا بينهما : " وينبغى أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتصالا شديدا ؛ لأن التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى ، مثال ذلك أن تأتى إلى (ضرب) فتبنى منه مثل (جعفر) ، فتقول : (ضرب) ، ومثل (قمطر) : (ضرب) ... أفلا ترى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة، وكذلك الاشتقاق أيضا ، ألا ترى أنك تجيء إلى الضرب الذى هو المصدر فتشتق منه الماضى فتقول : (ضرب) ، ثم تشتق منه المضارع فتقول : (يضرب) ... فمن هنا تقاربا واشتبكا، إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبان ، والاشتقاق أقعد فى اللغة من التصريف ، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق " (21).

ويرى البحث أن التصريف بمعناه المذكور إنما هو من قبيل الترف الذهنى الذى يستفاد منه فقط فى اختبار الملكات و تثبيت الأوزان ، وأنه ليس أقعد فى اللغة ؛ لأنه بناء من كلمة بناء لم تبنيه العرب على وزن ما بنته ، كما أنه بهذا المعنى لا يحتاجه النحو ولا اللغة. والتصريف الذى ذكره أبو الفتح هو الذى توارى فى كتب المتأخرين وأخذ آخر أوراقها وسموه مسائل التمرين ، كما أن الاشتقاق الذى عرفه صار أحد مباحث الصرف عند المتأخرين .

(19) دروس التصريف ، ص 7 .

(20) جهود الفراء الصرفية ، ص 41 .

(21) المنصف ، ج 1/3-4 .

وزعم أحد الباحثين أن علماء البصرة لما رأوا تفرد الكوفيين فى علم الصرف وتفوقهم على البصريين به بسبب براعة معاذ فى هذا العلم - علم التصريف - وشهرته فيه واستقلاله به ، لما رأوا ذلك أراد أحد البصريين أن يقدم دفعة معادلة ليعطى البصرة ما يعيد لها زمام المبادرة ، فيذكر أن محمد بن المستنير تلميذ سيبويه " أراد أن يقدم

للبصرة في هذا المجال دفعة معادلة وأن يعطيها ما يمكن أن يعيد لها زمام المبادرة ، فقدم كتابيه (الاشتقاق) و (العلل) ، وهما موضوعان مستخرجان من عمل النحاة السابقين أيضا ، وبدورهما من كتاب شيخه سيوييه ، وجاء بكتابه الاشتقاق بنوع خاص ليظهره في وجه التصريف .

وتتابع التأليف في العلمين التصريف والاشتقاق ، وصار أمل كل جماعة أن ينمو علمهم ، فصار أمل البصرة أن ينمو علم الاشتقاق أو هذا العلم تحت مصطلح الاشتقاق ، وأمل أهل الكوفة أن ينمو علم التصريف أو المباحث التي برع فيها معاذ تحت اسم علم التصريف " (22) .

لكن الذي يقرأ ما قاله ابن دريد - وهو بصرى - عن سبب تأليفه كتاب (الاشتقاق) يجد أنه لم تكن هناك دفعة معادلة ولا إعادة لزمام المبادرة ، إنما الأمر على ما وضحه ابن دريد بقوله : " وكان الذي حدانا على إنشاء هذا الكتاب أن قوما ممن يطعن على اللسان العربي ، وينسب أهله إلى التسمية بما لا أصل له في لغتهم ، وإلى ادعاء ما لم يقع عليه اصطلاح من أوليتهم ، وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينفذ علمهم في الفحص عنها ، فعارضوا بالإنكار " (23).

ومعنى هذا - كما يقول د. رمضان عبد التواب و د. صلاح الدين الهادي في مقدمة (اشتقاق الأسماء) للأصمعي (24) - أنه كان من مطاعن الشعوية في ذلك الوقت على اللسان العربي اتخاذ العرب أسماء لا أصل لها في لغتهم ، مما دعا الأصمعي ومعاصريه الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفى سنة 215 هـ وقطربا محمد بن المستنير المتوفى سنة 206 هـ إلى التأليف في أصل اشتقاق الأسماء العربية للأشخاص والقبائل؛ ردا على مطاعن الشعوية في عصرهم ، ثم حذا حذوهم من بعدهم ابن دريد وغيره .

(22) العمد ، ص 28 .

(23) الاشتقاق ، ص 4 .

(24) اشتقاق الأسماء ، ص 40-41 .

شرف علم التصريف و مرتبته :

يقول ابن عصفور : " التصريف أشرف شطرى العربية وأغمضهما؛ فالذى يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية ، من نحوى ولغوى ، إليه أيما حاجة؛ لأنه ميزان العربية ، ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة

بالقياس ، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف ... ومما يبين شرفه أيضا أنه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به " (25).

ويقول د. عبد اللطيف الخطيب : " ولقد أطبق الأولون وثلة من الآخرين على شرف النحو والتصريف بين علوم العربية ، وكان التصريف عند جمهرتهم أشرف العلمين وأحراهما بالتقديم . ومن عجب أن تقديم الشريف في المنزلة والإقرار بأوليته عندهم كان سببا موجبا لتأخير الرعاية له والحفاية به " (26).

يقول ابن عصفور : " وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية ؛ إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب . ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب. إلا أنه آخر للطفه ودقته ، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة له؛ حتى لا يصل إليه الطالب إلا وهو قد تدرب وارتاض القياس " (27).

ويقول ابن جنى : " وهذا القبيل من العلم -أعنى التصريف - يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنه ميزان العربية ، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به . وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس ، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف " (28) . ثم يقول : " فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة ، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بالتصريف ؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة ، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويضا صعبا بدئ قبله بمعرفة النحو ثم جرى به بعد؛ ليكون الارتياض في النحو موطئا للدخول فيه ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال " (29) .

(25) الممتع الكبير في التصريف ، ص 31 . (26) المستقصى في التصريف، ص 5 .

(27) الممتع الكبير ، ص 33 . (28) النصف ، ج 1 / 2 .

(29) السابق ، ج 4-5 .

الفصل الثاني : الكلام على واضع علم التصريف

إننا إذا أردنا أن نتحدث عن نشأة هذا العلم ، فلا بد أن نحدد لأنفسنا المعيار الذى سيتحدد على أساسه واضع أو منشئ هذا العلم ، فإذا كان المعيار هو أن واضع العلم أو منشئه هو أول من عهد عليه الكلام فيه ، هل سنجد شخصا غير الذى نجده إذا كان المعيار هو أن الواضع أو المنشئ هو أول من علم أنه أفرد هذا العلم أو إحدى مسائله بالتصنيف؟

أما من ناحية من تكلم من الأوائل فى هذا العلم ، فإن كتب التراجم تحمل فى ثناياها عبارات عن براعة أحدهم فى التصريف أو فى باب منه ، والذين استطعت الوقوف على ذلك فى تراجمهم هم :

1- عبد الله بن أبى إسحاق المتوفى سنة 119 أو 117 هـ :

يقول عنه الزبيدي : " وكان بلال بن أبي بردة جمع بين ابن أبي إسحاق وأبي عمرو بن العلاء بالبصرة – وهو يومئذ وال عليها -... قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي إسحاق بالهمز يومئذ ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت " (30).

وقال السيوطي : " وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتابا مما أملاه " (31).
وأبدى هنا ملاحظتين:

أولاهما : أنه ليس بغريب على من كان أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل ؛ أن يبرع في أحد مباحث التصريف ، وهو الهمز .

ثانيتها : أن الهمز المذكور في عبارتي الزبيدي والسيوطي مقصود به – فيما يغلب على ظني – ما تتعرض له الهمزة من إعلال وإبدال ، فهناك في الإبدال السماعي : أيا وهيا ، أرقق وهرقت ، إياك وهياك ، وإبدال الهمزة من الهاء في ماء ، وأصلها (موه) ، حيث تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ، فصارت (ماه) ، وأبدلوا من الهاء همزة ، وكذلك في (شاء) جمع شاة ، والهمز في الجمع بدل من الهاء ، حيث إنهم لما جمعوا شاة طرحوا تاء التأنيث ، فبقى الاسم على حرفين ، فأعادوا الهاء المحذوفة التي كانت في أصل المفرد (شوهة) ، ثم أبدلوا منها همزة .

(30) طبقات النحويين واللغويين ، ص 31 ، نزهة الألباء ، ص 26-27 ، مجالس العلماء ، ص 185 .

(31) المزهر ، ج 2 / 398.

وأیضا نجد الإبدال الجائز في الهمزة المفردة الساكنة ، كما في رأس ، ومؤمن ، وبئر ، فتقلب إلى حرف يناسب حركة ما قبلها ، فتصير : راس ومومن وبير ، على الترتيب . و كذلك مواضع اجتماع همزتين ، كما في آمن وإيمان ، وأصلهما : أمن ، وإمان . ثم نجد في باب الإعلال إعلال الهمزة كما تعل أحرف العلة ، كما في : سماء – بناء – صحراء – قائل – صحائف – أوائل – أواق ، ففي كل هذا أعلنت الهمزة ، ففي (سماء) تطرفت الواو بعد ألف زائدة فقلبت همزة ، وفي (بناء) تطرفت الياء بعد ألف زائدة ، فقلبت همزة ، وفي (صحراء) تطرفت الألف بعد ألف زائدة ، فقلبت همزة ، وفي (قائل) وقعت الواو عينا لاسم فاعل أعلنت في فعله ، فتقلب همزة ، وفي (صحائف) وقعت الياء بعد ألف (مفاعل) وهي في المفرد حرف مد زائد ، فقلبت همزة ، وفي (أوائل) وقعت الواو ثاني حرفين لينين بينهما ألف (مفاعل) ، فقلبت همزة ، وفي (أواق) اجتمعت واوان في أول الكلمة والثانية متحركة ، فتقلب الأولى همزة .

فإن قال قائل : لعل المقصود تسهيل الهمزة المعروف في علم (القراءات) ؛ قلت : أن أبا عمرو صاحب قراءة ولا يخفى عليه ذلك ، بجانب أن في قراءته مواضع هو نفسه يسهل فيها الهمزة ، فلم يكن محتاجاً أن يغلبه ابن أبي إسحاق بالهمز حتى يبالغ فيه وينظر فيه بعد هذه الغلبة .

يؤكد ذلك ما قاله أبو محمد اليزيدي لعلي بن المبارك الأحمر الكوفي ، حين زعم الأخير أن أبا عمرو لم يكن يعرف التصريف ، فقال اليزيدي : " ليس التصريف من النحو ، إنما هو شيء ولدناه نحن واصطلحنا عليه ، وكان أبو عمرو أنبل من أن ينظر فيما ولد الناس " (32) . ؛ فاليزيدي يعلل له عزوف أبي عمرو عن التصريف ، ليس لأنه لم يكن يعرفه ، بل لأنه ليس من النحو ، وإنما هو شيء ولده النحويون ، وأبو عمرو لا ينظر فيما ولد الناس ترفعا .

ولذلك لا أوافق د. شوقي ضيف فيما قاله عن كتاب " الهمز " لابن أبي إسحاق : " ويبدو أنه عالج فيه رسمها حين توصل وحين تقطع ، وحين تسهل ، وحين تدخل على همزة أخرى ، وحين تتصل بحروف العلة ، مما يتصل بالدقة في كتابة الذكر الحكيم ؛ إذ كان من القراء النابهين في موطنه " (33) .

(32) مجالس العلماء، ص 130 .

(33) المدارس النحوية، ص 25 .

قلت : أيخفى ذلك على أبي عمرو؟! ألم يكن أبو عمرو صاحب قراءة؟! ألم يكن أبو عمرو - كما قال الأنباري في " نزهة الألباء " - أوسع علما من ابن أبي إسحاق بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، ثم بعد ذلك يخفى عليه رسم الهمزة في الوصل والقطع والتسهيل؟!

2،3- الخليل وتلميذه سيبويه:

يقول د. شوقي ضيف : " ونستطيع أن نقول في إجمال : إن جمهور ما يصوره سيبويه في كتابه من أصول النحو والتصريف وقواعدهما ؛ إنما هو من صنيع أستاذه ، ولا ينكر أحد ما لسيبويه من إكمال في العلمين وتتميم ، ولكن المهم أن واضح

تخطيطهما وراسم لاحتيمهما إنما هو الخليل ، يتضح ذلك من محاوراته التي لا تكاد تنتهي مع تلميذه ، والتي تدور فيها مصطلحات النحو والصرف وأبوابهما " (34) .

فالخليل وسيبويه - وإن لم يفردا الصرف بالتأليف - ، قد دل ما في "الكتاب" لسيبويه على ما لهما من أياد بيضاء في مباحث علم التصريف .

4- معاذ بن مسلم الهراء المتوفى سنة 187 هـ :

ثمة رواية في كتب تراجم اللغويين والنحويين استتبط منها بعض الباحثين قديما وحديثا أن معاذ بن مسلم الهراء هو واضع علم التصريف ، تقول هذه الرواية : " دخل أبو مسلم عبد الرحمن صاحب الدولة قبل أن يرتفع حاله ، إلى معاذ بن مسلم الهراء النحوى ، فسمع معاذنا يناظر رجلا فى النحو ، فقال معاذ (35) : كيف تقول من (تؤزهم أزا) يا فاعل افعل ؟ وصلها بيا فاعل افعل من (وإذا الموءودة سئلت) ، فأجابه الرجل ، فسمع كلاما لم يعرفه ، فقام من عندهم " (36) .

قال السيوطى : " ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا " (37) ، وقال أيضا فى أثناء حديثه عن الرؤاسى : " وكان له عم يقال له معاذ بن مسلم الهراء ، وهو نحوى مشهور ، وهو أول من وضع التصريف " (38) .

(34) السابق ، ص 34 . (35) فى الأصل : لمعاذ .

(36) مجالس العلماء ، ص 145 ، طبقات النحويين واللغويين ، ص 126 .

(37) بغية الوعاة ، ج 2 / 291 . (38) المزهرة ، ج 2 / 400 .

يقول الأستاذ كامل شاهين : " وليس على السيوطى معول ؛ لأنه يثبت أن الصرف كان معروفا قبل الهراء ، وكل ما فعله هو تخليصه وإفراده بالتأليف ، ومع ذلك فهو أكثر تحوطا ممن جزموا بعده جزما بما لمحاه هو لمحا " (39) .

والبحث يتفق مع ما ذهب إليه الأستاذ كامل إلا قوله بأن معاذا أفرد الصرف بالتأليف ؛ إذ إن كتب التراجم لم تذكر له مؤلفا واحدا لا فى الصرف ولا فى باب منه ، إنما كل الذى وقفت عليه من أخباره هذه الرواية التى ذكرتها آنفا .

وقد استدلل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بالرواية التي ذكرنا مسبقا على أن معاذا إنما كان يتكلم من التصريف في صياغة المشتقات وكيفياتها ، وأنه كان يكثر من ذلك ويستطرفه ، ولم يكن الناس يعرفونه ، ولم يكن يتكلم في غير هذا من مباحث التصريف ، وكان غرضه التدريب على قواعد الإعلال والإدغام وما أشبه ذلك " (40) .

وقال أيضا : " وقد اشتهر عند الباحثين أن واضع علم الصرف هو أبو مسلم معاذ الهراء أحد رءوس العلماء في الكوفة ومتقدميهم . وهذا الكلام على إطلاقه غير مستقيم ؛ فقد كانت مسائل هذا العلم تدرس من قبل معاذ ، درست مسائل العربية بوجه عام ، ودرست مع مسائل النحو بوجه خاص ، والذي يمكن أن تطمئن النفس إليه أن معاذ هو أول من أفرد مسائل الصرف بالبحث أو التأليف " (41) .

ويرى البحث أيضا أن دعوى الأولوية ليس عليها دليل ، ولا تدل عليها الرواية المشهورة السابقة ، كما أنها مردودة بما سبق ذكره من أن ابن أبي إسحاق المتوفى سنة 119 أو 117 هـ - أي قبل معاذ بسبعين عاما - ناظر أبا عمرو بن العلاء ، فغلبه ، وأنه برع فيه حتى أملى فيه كتابا .

يقول د. عبد اللطيف الخطيب : " والغريب من السيوطي - وهو العالم الجليل - أن ينتهي به هذا الخبر إلى مثل هذا الاستنتاج ، وهو خبر لا يقين فيه ؛ إذ وضع مسألة للمناظرة لا تدل على أن معاذ هو صاحب هذا العلم ، موضع الأمر المسلم به ؛ ولقد رأينا في أصول المتقدمين كثيرا من هذه المسائل تكون موضوعا للمناظرة بين العلماء ، ولو صح ما خرج به هذا العالم من هذا الخبر وأمثاله ؛ لصح لنا أن ننسب وضع هذا العلم (الصرف) إلى علماء كثيرين . وأضرب لك مثلا على ذلك بما جاء من مسائل في هذا الباب مجموعة عند الزجاجي في كتابه " مجالس العلماء " فانظر من ذلك :

(39) الرائد الحديث في تصريف الأفعال ، ص 8 (40) دروس التصريف ، هامش 1 ، ص 10 - 11 .

(41) السابق ، 10-11 .

- 1- مجلس المازني مع الأخفش في مسألة : لقضو الرجل .
- 2- ومجلس الأصمعي مع الكسائي في (طيف وظيف) .
- 3- ومجلس الرياشي مع المازني في لفظ الإله .
- 4- ومجلس عبد الوهاب بن حريش مع الأصمعي : أويت ، والبناء منه .
- 5- ومجلس المازني مع الأخفش في تصغير (أحوى) .

فإذا كررت النظر إلى هذه المطارحات ؛ وجدتها مسائل صرفية في بناء الكلمات أو صياغة على وزنها " (42).

5- على بن المبارك الأحمر :

قال عنه الأنباري: " وكان متقدما على الفراء في حياة الكسائي ؛ لجودة قريحته وتقدمه في علل النحو ومقاييس التصريف ، و مات قبل الفراء سنة ست أو سبع و مائتين " (43).

أضم هذا إلى ما ورد من قوله في مجلس له مع أبي محمد اليزيدي تلميذ أبي عمرو بن العلاء: " إن أبا عمرو لم يكن يعرف التصريف ، فقال له اليزيدي : ليس التصريف من النحو في شيء ، إنما هو شيء ولدناه نحن واصطلحنا عليه ، وكان أبو عمرو أنبل من أن ينظر فيما ولد الناس " (44).

واضح من الخبرين أن الأحمر كان على علم بالتصريف ، وأن هذا التصريف كان شائعا بين النحويين ، وهم الذين ولدوه.

هذا فيما يتعلق بمن تكلم من الأوائل في علم التصريف أو في بعض مباحثه ، أما معيار التأليف في هذا العلم أو في باب منه ، فنستطيع من خلال كتب التراجم أيضا أن نقف على بعض المؤلفات في التصريف أو في مسألة منه لبعض النحاة المتقدمين ، فنجد :

(42) المستقصى في التصريف ، ج 1 / 15-16 .

(43) نزهة الألباء ، ص 80 .

(44) مجالس العلماء ، ص 130 .

1- كتاب الهمز لابن أبي إسحاق المتوفى سنة 117هـ :

يقول السيوطى : " وكان يقال : عبد الله أعلم أهل البصرة وأنقلهم ، ففرع النحو وقاسه ، وتكلم فى الهمز حتى عمل فيه كتابا مما أملاه ، وكان رئيس الناس وواحدهم " (45).

و يقول الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة : " عرفت حوادث الأيام بالكتب التى سبقت تأليف كتاب سيبويه ؛ فلم يصل إلينا منها سوى أسمائها ، وأقدمها كان فى موضوع صرفى ، وهو كتاب الهمز لعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى المتوفى 117 هـ ، ويعتبره الزبيدى فى الطبقة الثالثة البصرية ، ويعتبر سيبويه فى الطبقة السادسة منها " (46).

وقد سبق فى حديث المعيار الأول ذكر ما جرى بين صاحبنا وبين أبى عمرو بن العلاء ، وغلبة الحضرمى لأبى عمرو ، مما دعا أبا عمرو بعد ذلك أن ينظر فى الهمز ويبالغ فيه ، وبينت عندها المقصود بالهمز.

2- كتاب المصادر للكسائى على بن حمزة المتوفى سنة 189 هـ :

ذكره الأنبارى (47) ، و السيوطى (48).

3- كتاب التصغير للرؤاسى ابن أخى معاذ الهراء :

ذكره الأنبارى (49) ، والسيوطى (50) ، وياقوت الحموى (51) ، وابن النديم (52) . وقد قال ياقوت فى زمن موته : " ومات فى أيام الرشيد " (53) . قلت : والرشيد تولى الخلافة من سنة 170 هـ إلى سنة 193 هـ .

(45) المزهر ، ج 2 / 398 . (46) المغنى فى تصريف الأفعال ، ص 9-10 .

(47) نزهة الألباء ، ص 61 . (48) بغية الوعاة ، ج 2 / 164 .

(49) نزهة الألباء ، ص 51 . (50) بغية الوعاة ، ج 1 / 83 .

(51) معجم الأدباء ، ج 6 / 2488 ، 2572 .

(52) الفهرست ، ج 1 / 66 .

4- كتاب التصريف لعلي الأحمر الكوفي :

ذكره ابن النديم(54) ، وياقوت(55) ، والسيوطي(56) ، و يجعل الأنباري وفاة هذا الرجل سنة ست أو سبع ومائتين (57) ، بينما يذكر ياقوت عن الصولي أنه مات سنة 194هـ (58) .

وبناء على ما تناوله البحث فيما يتعلق بمعياري معرفة أول من تكلم في الصرف أو وضع فيه مؤلفا ، يتبين أن عبد الله بن أبي إسحاق هو صاحب هذه الأولوية ، و ليس هذا بمستبعد على أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل ، ولا يكون هذا غريبا ؛ إذ البصرة سبقت الكوفة إلى مضمار النحو بقرن تقريبا كما لا يخفى .
لكن من الواضح أيضا أن الكوفة استدركت هذا السبق بأن ألف أعلامها في هذا العلم و مسائله ، حتى إننا لنجد أن المؤلفات المستقلة بالتصريف بعد ابن أبي إسحاق إنما هي لرواد المدرسة الكوفية ، كالكسائي و الرؤاسي و علي الأحمر و الفراء ، و لا يعرف لبصري كتاب مستقل في التصريف أو في بعض مسائله في نفس فترة هؤلاء إلا للجرمي (المتوفى 225 هـ) ، ثم تتابع التأليف في التصريف بعد ذلك .

(54) الفهرست ، ج 1/ 66 .

(55) معجم الأديباء ، ج 4/ 1672 .

(56) بغية الوعاة ، ج 2/ 159 .

(57) نزهة الألباء ، ص 80 .

(58) معجم الأديباء ، ج 4 / 1670 .

الفصل الثالث : مراحل تطور علم التصريف

إذا تتبعنا كتب التراجم والطبقات فيما ذكرت من مؤلفات النحاة فى التصريف ومجالسهم فى التناظر بمسائله، نستطيع أن نميز بين ثلاث مراحل (59) :

المرحلة الأولى :

هى تلك التى وجدنا فيها الصرف ممزوجا بالنحو فى مناظرات المتناظرين وفيما وصلنا من مؤلفات نحويى هذه المرحلة التى تنتهى بإمام العربية سيبويه . لكن لا تخلو هذه المرحلة ممن أفرد بعض مسائل التصريف بالتأليف ، والذى ذكر من ذلك فى كتب الطبقات والتراجم كتاب " الهمز " لعبد الله بن أبى إسحاق المتوفى سنة 117هـ ، أما الطابع العام لهذه المرحلة هو أن الصرف كان ينسرب بين مباحث النحو تأليفا كما نرى كتاب سيبويه ، وتناظرا كما تحدثنا مناظرات نحويى هذه الفترة ، ومن ذلك ما بدأ به مجلس سيبويه مع الكسائى وأصحابه بحضرة الرشيد ، وفيه :

" قال الفراء : قدم سيبويه على البرامكة ، فعزم يحيى على الجمع بينه وبين الكسائى ، فجعل لذلك يوما ، فلما حضر تقدمت و الأحمر فدخلنا، فإذا بمثال فى صدر المجلس فقعده عليه يحيى ، وقعد إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم ، وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة أجاب فيها سيبويه ، فقال له : أخطأت ، ثم سأله عن ثانية ، فأجابه فيها ، فقال له : أخطأت ، ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها ، فقال له : أخطأت ، فقال سيبويه : هذا سوء أدب ، قال (الفراء) : فأقبلت عليه فقلت : إن فى هذا الرجل حدا وعجلة ، ولكن ما تقول فيمن قال : هؤلاء أبون ، ومررت بأبين ، كيف تقول مثال ذلك من وأيت أو أويت " (60) ، ثم كانت المسألة النحوية المشهورة بين سيبويه والكسائى.

" ونستطيع أن نقول فى إجمال : إن جمهور ما يصوره سيبويه فى كتابه من أصول النحو والتصريف وقواعدهما ، إنما هو من صنيع أستاذه ، ولا ينكر أحد ما لسيبويه من إكمال فى العلمين وتتميم " (61) .

(59) استفدت تقسيم المراحل من رسالة أستاذنا الدكتور أحمد عبد الدايم عن ابن القطاع وأثره في الدراسات الصرفية ، إلا أنني دمجت المرحلتين الأولى والثانية عند حضرته ، وجعلتهما مرحلة أولى ، فكانت الثالثة هنا هي الرابعة عنده (60) مجالس العلماء ، ص 9 .

(61) المدارس النحوية ، ص 34 .

المرحلة الثانية :

وهي المرحلة التي استقل فيها التصريف أو أحد مباحثه بالتأليف ، وتبدأ بعلى بن حمزة الكسائي المتوفى (189هـ) الذي ألف كتابا في المصادر (62) ، وبأبي جعفر الرؤاسي المتوفى زمن الرشيد الذي تولى الخلافة (من سنة 170هـ إلى سنة 193هـ) ، ويذكر الأنباري له كتاب " التصغير " (63) .
وقد شهدت هذه المرحلة عددا كبيرا من الكتب الخاصة بالتصريف ، إما تحمل اسم التصريف ، وإما تحمل اسم أحد مباحثه أو إحدى مسائله .

أما التي تحمل اسم التصريف ، فمنها :

- 1- التصريف لعلى الأحمر الكوفي المتوفى سنة 194هـ ، وهو أول كتاب – فيما أعلم - يحمل هذا الاسم .
- 2- التصريف للفراء (ت 207هـ).
- 3- الأبنية والتصريف للجرمي (ت 225هـ).
- 4- التصريف للتوزي (ت 233هـ).
- 5- التصريف لابن السكيت (ت 246هـ).
- 6- التصريف للمازني (ت 249هـ) ، وشرحه ابن جنى في " المنصف".
- 7- التصريف للمبرد (ت 285هـ).
- 8- التصاريف لابن كيسان (ت 299هـ).
- 9- التصريف لأبي جعفر الطبري (ت 304هـ) ، وليس هو صاحب التفسير المشهور.
- 10- التصاريف للمكثمي (ت 325هـ) .
- 11- التصريف للرماني (ت 384هـ).

12- التصريف الملوكى لابن جنى (ت 392هـ).

13- التصريف لعبد القاهر الجرجانى (ت 474هـ) ، وله كتابان فى التصريف مطبوعان.

14- التصريف لمحمد البيهقى (ت 485هـ).

(62) نزهة الألباء ، ص 61 .

(63) السابق، ص 51 .

وأما الكتب التى خصصت لمسألة من التصريف ، فيمكن تصنيفها على النحو التالى :

أ- كتب فى المقصور والممدود :

نجد ذلك عند أبى محمد اليزيدى (ت 202هـ) ، و الفراء ، و الأصمعى (ت 213هـ) ، وأبى عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) ، وابن السكيت ، وأبى حاتم السجستاني (ت 255هـ) ، وأبى عصيدة (ت 270هـ) ، والمبرد ، وابن كيسان ، وابن الأنبارى - الولد والوالد - ، وأبى بكر أحمد بن شقير (ت 315هـ) ، والمفضل بن سلمة (ت 300 هـ) ، وأبى جعفر ابن رستم الطبرى ، والجعد (ت 320ونيفا) ، والخزاز (ت 325هـ) ، و ابن الوشاء (ت 325 هـ) ، وابن درستويه (ت 330هـ) ، وابن خالويه (ت 370هـ) ، وأبى على الفارسى (ت 377هـ) ، وأبى الجود العجلانى (ت 400هـ) .

ب- كتب فى المصادر :

نلقى ذلك عند النضر بن شميل (ت 204هـ) ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت 213هـ) ، وأبى زيد (ت 215هـ).

ج- كتب فى الهمز:

لقطرب (ت206هـ) ، والأصمعي ، وأبي زيد واسمه " تحقيق الهمز" ، وأبي جعفر ابن رستم الطبري واسمه " صورة الهمز".

د- كتابان في القلب والإبدال : للأصمعي ، وابن السكيت .

هـ - كتب في الجمع والتثنية : لأبي عبيدة ، وأبي زيد ، والجرمي ، والأخفش الصغير (ت315هـ).

و- كتابان في (فعليل وأفعل) : لقطرب ، وأبي عبيدة .

ز- كتب في (فعل وأفعل) : للفراء ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ، وابن السكيت .

ح - كتب في المذكر والمؤنث :

للفراء ، والأصمعي ، وأبي عبيد القاسم ، وابن السكيت ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي عبيدة ، والمبرد ، والمفضل بن سلمة ، وابن الأنباري - الولد والوالد - ، وأبي جعفر ابن رستم الطبري ، والزجاج (ت311هـ) ، وأبي بكر أحمد ابن شقير (ت315هـ) ، وابن كيسان ، والجعد ، وابن الوشاء ، والخزاز ، وابن درستويه ، والعتار (ت354هـ) ، والتستري (ت360هـ) ، وابن خالويه ، والشمشاطي (ت380هـ) ، وابن جنى ، وابن فارس (ت395هـ) ، وأبي الجود العجلاني .

ط - كتب الوقف والابتداء :

للفراء ، و ثعلب (ت291هـ) ، وابن كيسان ، وأبي بكر ابن الأنباري (ت328هـ) ، والسيرافي (ت368هـ) ، وابن جنى .

ي- كتب الاشتقاق :

لقطرب ، والأخفش ، والأصمعي ، وأبى نصر الباهلي (ت 231هـ) ، وعبد الملك بن قطن (ت256هـ) ، وابن طيفور (ت280هـ) ، و المبرد ، و المفضل بن سلمة ، والزجاج ، وابن السراج (ت 316هـ) ، وابن دريد (ت 321هـ) ، وابن درستويه ، وأبى جعفر النحاس ، والزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق (ت 337هـ) ، وابن خالويه ، والرماني ، والزجاجي يوسف بن عبد الله (ت 415هـ) ، وأبى عبيد البكري (ت 487هـ) (64).

(64) أسماء كتب هذه المرحلة الثانية مستفادة من : فهرست ابن النديم ، نزهة الألباء للأنباري ، المعنى في تصريف الأفعال للشيخ عزيمة ، مقدمة تحقيق المذكر والمؤنث لابن جنى ، رسالة الدكتوراة للأستاذ الدكتور أحمد عبد الدايم عن ابن القطاع ، ومقدمة الأستاذ عبد السلام هارون لتحقيق اشتقاق ابن دريد ، ومقدمة الأستاذين رمضان عبد التواب وصالح الدين الهادي لاشتقاق الأصمعي .

المرحلة الثالثة :

قال الدكتور أحمد عبد الدايم – وهو يتحدث عن المرحلة الرابعة التي هي الثالثة هنا:-

” وفيها بلغت الدراسات الصرفية أوجها ، وهي التي نحددها بالقرنين السادس والسابع الهجريين ، وفيها أيضا اكتمل صرح التصريف ، وبلغ التأليف ذروته على يد علمائها الذين جاءت مؤلفاتهم غاية في الاستيعاب لجميع أبواب التصريف ، فوضعوا أهم مصنفاته وأدقها وأكملها وأجودها تهذيبا وتوضيحا ومنهجة .

وكان إمام هذه الفترة ونجمها اللامع وأستاذها ابن القطاع الصقلي ، الذي أدخل الصرف بتأليفه في الأبنية مجالا جديدا ، والذي ظهر تأثيره واضحا في مؤلفات من جاء بعده كابن عصفور وأبى حيان ، وكتب اللغة كالقاموس وشرح القاموس ولسان العرب ” (65).

والملاحظ على كتب هذه المرحلة أن السواد الأعظم منها مصنف في التصريف جملة لا في بعض مسائله ، بعكس ما رأينا في المرحلة السابقة ، فلا نجد في هذه المرحلة كتباً مصنفة لبعض مسائل التصريف إلا نزرًا يسيرًا ، ومن ذلك :

- 1- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث للأنباري (ت 577هـ).
- 2- فصل المقال في أبنية الأفعال لابن هشام الخضراوي (ت 646هـ).
- 3- تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك (ت 672هـ).
- 4- نظم لامية الأفعال له أيضا.
- 5- ويأتي على قمة هذه المؤلفات كتاب " أبنية الأسماء والأفعال والمصادر " ، وكتاب " تهذيب الأفعال " ، وكلاهما لابن القطاع المتوفى سنة (515 هـ) .

أما الكتب التي في التصريف عامة ، فمنها :

- 1- نزهة الطرف في علم الصرف للميداني (ت 518هـ).
- 2- كتاب في التصريف لابن حميدة محمد بن علي الحلبي (ت 550 هـ).
- 3- المنصف في التصريف للحسن بن صافي الملقب بملك النحاة (558هـ).

(65) ابن القطاع وأثره في الدراسات الصرفية، مج 1 / 26 .

- 4- الوجيز في التصريف للأنباري (ت 577هـ).
- 5- ميزان العربية ، له أيضا .
- 6- كتاب في التصريف للحسن بن محمد الصاغانى (ت 577 هـ).
- 7- نزهة الطرف في إيضاح قانون الصرف للعكبرى (ت 616 هـ).
- 8- الترصيف في علم التصريف ، له أيضا .
- 9- تعريف شواهد التصريف لإبراهيم بن محمد الخوارزمي (ولد 559 هـ) .
- 10- شرح التصريف الملوكي لابن يعيش (ت 643هـ) .
- 11- النقض على الممتع لابن هشام الخضراوي .

- 12- الشافية لابن الحاجب (ت646هـ).
 13- تصريف العزى للزنجاني (ت 655 هـ تقريبا).
 14- الممتع لابن عصفور (ت 663 هـ).
 15- إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك .
 16- أساس التصريف لأبي الذبيح إسماعيل بن محمد (ت676هـ).
 17- شرح الشافية للرضي (ت 686 هـ).
 18- عقود الجواهر في التصريف لأحمد بن محمود الجندی (ت700هـ).
 19- النجاح في التصريف لحسام الدين بن محمد (ت 710هـ).

ويلتحق بهؤلاء من القرن الثامن أبو حيان الأندلسي (ت745هـ)، وله "المبدع في التصريف" و"نهاية الإعراب في التصريف والإعراب" وابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، وله "نزهة الطرف في علم الصرف" و"كفاية التعريف في علم التصريف" (66).

" وأما ما كتبه المحدثون فهو كثير ، ولكنهم فيما صنعوا عيال على المتقدمين وهم بين جانح إلى البسط ، ومائل إلى الاختصار" (67) ، " ولعل من خير ما ألف في هذا العلم في العصر الحديث هو ما كتبه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في كتابيه "تصريف الأفعال" و" تصريف الأسماء " ، وما كتبه الشيخ عزيمة في كتابه " المغنى في تصريف الأفعال" (68).

(66) مصنفات هذه المرحلة مستفادة من : المغنى في تصريف الأفعال للشيخ عزيمة ، رسالة الدكتوراة للأستاذ الدكتور أحمد عبد الدايم عن ابن القطاع، المجلد الأول ، المدارس النحوية للمرحوم الدكتور شوقي ضيف .
 (67)المستقصى في التصريف ، ج 1 / 24 .

(68) السابق ، ج 1/ 24- هامش 3 .

خاتمة

حاول هذا البحث أن يبين دور المدرسة الكوفية في نشأة الصرف ، و ذلك من خلال ما عرضه في حديثه عن أول من نقل عنه أنه تكلم في مسألة تصريفية ، و كذلك في حديثه

عن أوائل من ألفوا في هذا العلم الجليل ، ثم بان ذلك أيضا من خلال الحديث عن مراحل تطور هذا العلم ، و اتضح أن الكوفيين قاسموا إخوانهم البصريين في التأليف في هذا العلم .

لأستاذي العزيز الدكتور أحمد عبد الدايم جزيل الشكر و عظيم الأجر من الله تعالى ؛ إذ استفدت كثيرا من هذا البحث ، و يكفيني أني ألممت بجانب من المكتبة العربية الصرفية ، و أنني أيقنت أن الفهوم تتلاقح و تتخالف ، و لذلك كان علي أن أبحث وراء ما قيل عن واضع علم الصرف و منشئه .

يطمئن البحث إلى أن نشأة الصرف كانت بصرية كنشأة النحو ، و ذلك عند ابن أبي إسحاق ، لكن هذا لا ينفي ما للكوفيين من أياد بيضاء على علم التصريف ؛ إذ إننا نجد بعد الحضرمي مؤلفات مستقلة في هذا العلم أو بعض مسائله للكسائي و الرؤاسي و علي الأحمر و الفراء ، مما يعني أن الكوفيين ساهموا الإسهام الكبير في إقامة صرح هذا العلم بعد أن تكلم الحضرمي في مسألة منه ، و بعد أن كان مختلطا بالنحو في " الكتاب " لسيبويه .

المصادر والمراجع

- 1- ابن القطاع وأثره في الدراسات الصرفية مع تحقيق كتابه "أبنية الأسماء والأفعال والمصادر"، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد محمد عبد الدايم عبد الله، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم، رقم 803، سنة 1400 هـ = 1980 م.
- 2- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1 سنة 1418 هـ = 1998 م.
- 3- الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون، دار الجيل ببيروت - لبنان، ط 1 سنة 1411 هـ = 1991 م.
- 4- اشتقاق الأسماء، للأصمعي، تحقيق د. رمضان عبد التواب ود. صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 2 سنة 1415 هـ = 1994 م.
- 5- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ببيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
- 6- جهود الفراء الصرفية، لمحمد بن علي خيرات دغريري، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية / جامعة أم القرى، سنة 1412 هـ = 1992 م.
- 7- دروس التصريف، الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع بالقاهرة، د.ط، د.ت.
- 8- الرائد الحديث في تصريف الأفعال، كامل السيد شاهين، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، د.ت.

9- الشافية فى علم التصريف ، لابن الحاجب ، دراسة وتحقيق حسن أحمد العثمان ، المكتبة الملكية بمكة المكرمة ، ط1 سنة 1415هـ = 1995م .

10- شذا العرف فى فن الصرف ، الشيخ أحمد الحملاوى ، تقديم وتعليق د.محمد عبد المعطى ، وخرج شواهدده وصنع فهارسه أبو الأشبال أحمد سالم دار الكيان بالرياض ، د.ط. ، د.ت .

11- شرح مختصر التصريف العزى ، لسعد الدين التفتازانى ، شرح وتحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ط8 سنة 1417هـ = 1997م .

12- طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر الزبيدى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بالقاهرة ، ط2، د.ت .

13- العمدة فى التصريف ، لعبد القاهر الجرجانى ، تحقيق د. البدرأوى زهران ، دار المعارف بالقاهرة ، ط3 سنة 1995م .

14- الفهرست ، محمد بن إسحاق ابن النديم ، تحقيق د. محمد عونى عبد الرؤوف و د. إيمان السعيد جلال ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، رقم 149 ، القاهرة / 2006م .

15- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر – بيروت ، ط 4 سنة 2005 م .

16- المبدع فى التصريف ، لأبى حيان ، تحقيق د. عبد الحميد السيد طلب ، دار
العروبة بالكويت ، ط 1 سنة 1402هـ=1982م.

17- مجالس العلماء ، للزجاجى ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى
بالقاهرة ، ط 3 سنة 1420هـ=1999م .

18- المدارس النحوية، د. شوقى ضيف ، دار المعارف، ط7، د.ت.

19- المذكر والمؤنث ، لابن جنى ، تحقيق د. طارق نجم ، دار البيان العربى – جدة،
ط 1 سنة 1405هـ=1985م.

20- المزهر، للسيوطى ، شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار التراث
بالقاهرة ، ط 3 ، د.ت.

21- المستقصى فى علم التصريف ، د. عبد اللطيف الخطيب ، دار العروبة بالكويت ،
ط 1 سنة 1424هـ = 2003م .

22- معجم الأدباء ، لياقوت الحموى ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامى
ببيروت – لبنان، ط 1 سنة 1993م .

23- المغنى فى تصريف الأفعال ، الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة ، دار الحديث
بالقاهرة ، ط 2 سنة 1420هـ=1999م.

24- المفتاح فى الصرف ، لعبد القاهر الجرجانى ، تحقيق د. على توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط 1 سنة 1407هـ = 1987م.

25- الممتع الكبير ، لابن عصفور ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 8 سنة 1994م .

26- المنصف ، لابن جنى ، تحقيق الأستاذين إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين ، إدارة إحياء التراث القديم بوزارة المعارف العمومية المصرية ، ط 1 سنة 1373هـ = 1954م.

27- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، لأبى البركات الأنبارى ، تحقيق د. إبراهيم السامرائى ، المنار بالأردن ، ط 3 سنة 1405هـ = 1985م .

28- الوجيز فى تصريف الأفعال ، د. أحمد بسيونى سعيدة ، دار الهانى بجامعة القاهرة.

فهرس البحث

2.....	المقدمة
4	الفصل الأول: التعريف بعلم التصريف وشرفه ومرتبته
5	التصريف لغة و اصطلاحا
9.....	التصريف و الاشتقاق
11.....	شرف علم التصريف
13.....	الفصل الثاني : الكلام على واضع علم التصريف
14.....	أقدم من تكلم في الصرف
18.....	أقدم من ألف فيه
21.....	الفصل الثالث : مراحل تطور علم التصريف

22	المرحلة الأولى
23	المرحلة الثانية
26	المرحلة الثالثة
28	خاتمة
29	المصادر و المراجع
33	فهرس البحث